متحركة اي جزء صغير من القوة العامة الشاملة هذا الكون حتى اذا انقضى الاجل وعاد هذا التراب الى الارض التي خذ منها عادت القوة المتحركة الى مصدرها ولم يبق منها شيء آخر. ألا يرشدنا استدلال العلماء هذا الى ان فينا قوة خالدة وبادا يمنع ان تكون هذه القوة ممتازة عن القوى التي في سائر المخلوقات الارضية وان وجد منها يبقى فيها ولو انحلّ الجسم الى التراب الذي اخذ منهُ

وفوق ذلك فان احكام العلم ليست نهائية فكما نقضنا اليوم كثيرًا من احكام السابقين لا بعد ان يأتي بعدنا اناس ينقضون احكامنا

مادة الكاتب

لو استنفد كاتبٌ فرائد اللغة بحثًا وتدقيقًا وجمع من التراكيب الانيقة مجمًا كبيرًا واستظهر الشيء الكثير مما استطاع انشاء مقالة اذا لم يعرِ صدرهُ المواد التي يبني عليها ويأخذ بها. وكيف يستطيع النجار الماهر صنع صندوق ولا خشب لديه. فالكاتب لا يسمى كاتبًا ادبيًا او بارعًا او مجيدًا وما شاكل هذه اوصاف التي تدل على مقدرته في الانشاء الاَّ اذا حصل على المادة وليس حصولهُ عليها امرًا سهلاً وانما هو ينالها بالدرس وقوة الملاحظة واعمال الروية

الدرس وفيه ابواب

باب التاريخ . يُظنُّ لاول وهلة اننا نريد بالتاريخ حفظ اسماء وتواريخ ازمنة لا تقوى ذاكرة على حفظها فلدفع هذا الوهم نقول اننا نقصد بهِ معرفةً اقرب الى التخصيص منها الى التعميم بل هي تكاد تنحصر في تاريخ البلدان المشهورة والبلاد التي يقطنها الكاتب. وتفصيل هذا الاجمال انهُ يجب على الكاتب ان يكون ملمًّا بتواريخ كثيرين من اعاظم الرجال الذين عمروا البلدان ورفعوا الامم والممالك واشياء عمَّا فعلوهُ وكانت سببًا في شهرتهم. فما يجب الالمام بهِ من تاريخ انكلترا مثلاً هو كيف اسس رجال البحر قوة انكلترا البحرية وحركتها التجارية في عهد الملكة اليصابات ثم اشتدت عرى التكاتف والتضافر منذ ذلك الحين فارتقت من مصاف الطبقة السادسة الى الطبقة الاولى في قوتها البحرية واتساع نطاق متاجرها وصارت اليوم مالكة البحار واول الدول في الاستعمار . فمتى ولد اولئك الرجال ومتى ماتوا وما هي اسماء سفنهم امور لا تهم الكاتب ولكن الذي يهمهُ هو استيعاب ما قاموا بهِ من عظائم الامور والوقوف على نتائج مساعيهم

وتراجم مشاهير الرجال خير ذريعة للوقوف على تواريخهم فطالعها ولا تترك سيرة قائد عظيم او سياسي محنك او نابغة في العلوم والفنون دون ان تتبحر فيها وتستوعبها بحيث اذا انشأت مقالة عن واحد منهم كان لك لقوله طلاوة ومعنى يستميل الخواطر اليهما فتذكر الحقائق التي تؤيد موضوعك وتبتعد عن التفاصيل المملة وتواريخ الازمنة فتبين مثلاً ما كان للرجل الذي تكتب عنهُ من التأثير في تاريخ العالم وما اتاهُ من الفعال الغراء ذلك اخير من ذكرك تاريخ ولادتهِ وزواجهِ ومارزقهُ من الاولاد (الا اذا كان لاحدهم تاريخ مأثور) ويوم وفاتهِ. فان معرفة ما طرأ على الاحوال الاجتماعية والاقتصادية من اكتشاف كولمبوس للعالم الجديد اهم كثيراً من معرفة تاريخ انشاء ايطالي

باب العلوم الطبيعية . ومما يساعد الكاتب ايضاً وقوفهُ على بعض القواعد الاصلية في العلوم الطبيعية لتتسنى لهُ المشابهة والمقارنة في وحدة الناموس الطبيعي. فيجب عليهِ ان يتعلم اهم القواعد في الفلسفة الطبيعية والكيمياء والجيولوجيا وعلم طبائع الحيوان وعلم النبات والفلك. ولا حاجة الى التوسع في المسائل الصعبة والتفاصيل المملة فيكفي ان يستخلص الكاتب منها ما يجعلهُ قادراً على ان يدرك حقائق كالحقائق الآتية : —

(١) ان قضبان سكك الحديد لا يوضع بعضها ملاصقاً لبعض بل يترك بين القضيب والقضيب مجال كاف للتمدد الذي تحدثهُ الحرارة في فصل الصيف

(٢) ان السبب الاعظم في يبس النبات ابان البرد القارس هو ان الماء الذي يتألف منهُ معظم العصارة النباتية يتمدد فتتفجر جدران الخلايا ويتلف النسيج

(٣) ان يعرف خواص الهواء والماء وغيرهما من العناصر الطبيعية والكيمارية التي لها علاقة بحياتنا اليومية

(٤) ان يعرف القواعد العمومية التي تجري عليها الحوادث الجوية واسباب المطر والرعد والعواصف وما شاكل

باب الجغرافية . يجب ان يعرف من علم الجغرافية الوجوه التجارية والاقتصادية والسياسية فلا يدرس الجغرافيا الطبيعية في ذلك وانما يكفي ان يعرف مثلاً : —

(١) موقع البلاد وحدودها وشكلها وتأثير ذلك في تقدمها وثروتها

(٢) حاصلاتها وواردتها وصادراتها

(٣) مصنوعاتها وما اشتهرت به من هذه المصنوعات واسباب تقدمها وتأخرها

(٤) العوامل التي سببت ارتفاع شأن بعض المدن وانحطاط غيرها

(٥) معرفة مواقع البلدان والمدن التي تألف سماعها من الحوادث القريبة العهد والاحوال الجارية كالترنسفال واليابان ومنشوريا ومكدونيا ومراكش الخ

ويحسن بالكاتب ان يعلق خريطة الكرة الارضية امامهُ وان يضع مذكرة في جيبهِ يعلق فيها ما يقف عليهِ في الصحف والمجلات من الحوادث عن الاحوال التجارية والسياسية وان تكون لصفحات هذه المذكرة نمر متسلسلة وتؤخذ هذه النمر وتوضع الى جانب المدن والجهات التي وقعت فيها تلك الحوادث وذلك لكي يرجع الكاتب اليها متى مست الحاجة مثال ذلك ان ما كتبهُ في مذكرتهِ عن مدينة بيباي هو على الصفحة الخامسة فيضع بجانب هذه المدينة في الخريطة نمرة ٥

ومما يجب على الكاتب ان لا يهمل درس الجغرافية الطبيعية ولاسيما فيما يتعلق بالبراكين والزلازل وتيارات البحار العظيمة وما شاكل ذلك من المظاهر الطبيعيةَ لان درس عجائب الطبيعة ملذ ومرغوب فيهِ وما خطتهُ يد الطبيعة على سطح الارض اعظم واسمى مما سُطِّر وكتب

باب الاقتصاد . ان علم الاقتصاد من اجل العلوم شأنًا والزمها للكاتب يبحث فيهِ عن تثمير الاموال والتصرف بها بالحكمة وبعبارة اخرى عن كل ما يؤول الى ترقية بني البشر ماديًّا فهو يصف اساليب الصناعة والتجارة في الزمن الغابر والحاضر ويرشح نظام التجارة وسواقها وكيفيةَ نقل البضائع والمخابرات التجارية فالواجب على الكاتب درسهُ والتبحر فيهِ

باب شؤون مختلفة . ونقصد بها ان يجري الكاتب مع الحوادث فيعرف تقلباتها واحوالها في داخل بلادهِ وفي خارجها ويستوعب المهم منها بمطالعة الصحف كالمقالات السياسية والمالية والادبيةَ والعلمية فيقتطف منها ما يروقهُ من الحقائق والفوائد ويرتبها في دفتر يضع لهُ فهرسًا يسهل عليهِ الرجوع اليها وقت الحاجة ثم يراجعها ويحذف منها ما يجدهُ قد صار تافهًا او لا اهمية لهُ فتقوى فيهِ ملكة الانتقاد ويكون لهُ منهُ مختصر عصريٌّ حاوٍ اشياء من الاكتشافات والعلوم الحديثة مثل التلغراف اللاسلكي والطيران والراديوم والاثير والدعوى بصنع الالماس وغيرها من الحجارة الكريمة وكالازمة المالية التي تكب بها كثير من البلدان في هذا العام

وليس التعليم رزمًا من الكتب والورق يتأبطها الكاتب او يضعها في خزانتهِ بل هو مخالطة العالم ومعاشرة الناس وممارسة الاعمال . قالوا ان الطبيعة خير استاذ ويضنون بذلك ان الارض والسماء والغابات والحقول والبحيرات والانهار والجبال والبحار في احسن ما يستفيد منهُ الانسان بالسمع والعيان . وقالوا ان المرء يجمع بالمطالعة والتعليم مواد يطرح قسمًا كبيرًا منها لقلة فائدتهِ وتفاهتهِ وان اعمال الروية في انتقاد الصالح من هذه المواد يشبه

بنّاء ينتقي الحجارة الملائمة ليشيد بها البناء

قوة الملاحظة

تعلم وتمرّن على ملاحظة الحقائق بالدقة والبحث فيها فلا تدع قوة الملاحظة فيك تتعود الكسل والخمول . فبعض الناس يسيرون في هذا العالم مغمضي العيون. وانبعض يسيرون مجلقي البواصر ولكنهم لا يبصرون فان في حركاتنا وسكناتنا وتأملاتنا اشياء ثمينة جدًّا يمكننا اكتسابها . فاذا كنت في الريف او المتنزهات او مسافرًا في سكة الحديد او على باخرة تقرب لك عباب البحر مسرح ناظريك في الطبيعة سهولها وجبالها واشجارها وبحارها وشلالاتها وغاباتها ومتى عدت الى منزلك فاكتب خلاصة ما رأيت وما عنّ لك من الافكار ودعها الى حين الحاجة اليها فاذا كتبت عن المتنزهات او وصف جمال الطبيعة اوفصل الربيع وما شاكل ذلك كان عندك ذخر تستند اليهِ وتتوكأ عليهِ

فالوصف من اشد انواع الانشاء صعوبة ولا يبرع فيهِ الاَّ قليلون من الكتّاب على انهُ يخلق بكل عاقل ان يستعمل عينيهِ ويسطر ما يراهُ بلغة صحيحة وعبارة فصيحة . فمن الغربيين الذين اشتهروا باجادة الوصف اسكندر دوماس وسكوت وركن وفي لغتنا العربية شعراء كثيرون اجادوا الوصف وفي طليعتهم البحتري ورأيت بعض كتابنا يجيدون الوصف نثرًا ولكني لم اعجب باحد منهم اعجابي بالدكتور يعقوب صروف ولا سيما في رحلتهِ النيلية ورحلتهِ الى اوربا اللتين نشرهما في المقتطف

لا تأنف من حفظ ما يلفت نظرك من عوائد اهل بلادك والبلاد التي تسافر اليها وما يتناقلونهُ عن تاريخها وتقاليدها فاذا كنت تنزه الخاطر ايام العطلة ففتح عينيك وعِ باذنيك لالتقاط مواد تفيدك عندما تكتب في موضوع كالمقارنة بين المدن والارياف في المعيشة او موسم القطن او حالة الفلاح او امبال اهل الريف لان المعرفة الحاصلة من الاختبار تفوق المعرفة المكتسبة من المطالعة والناقد المتبصر يستطيع التمييز بين الامرين عندما يقرأ كتابة بهذا الشأن زد على ذلك ان ما تدخرهُ من فوائد الاختبار ينير ذهنك في امور الدنيا فتفهم حقيقة الادوار والاصول التي يمثلها الممثلون المختلفون اعني تمثيل رواية الحياة على مسرح الدنيا

التفكير

ان التفكير او اعمال الروية امر من الاهمية بمكان ولكنهُ مهمل في غالب الاحيان مع ان اعمال الروية لازم للكاتب في انشاء المواضيع والاَّ جاءت كتابتهُ فارغة من المعاني التي تجذب القلوب اليها . قال احد علماء الفرنجة ان الكتابة السقيمة تدل على ان كاتبها

قليل التفكير والروية لا يحسن تنسيق المعاني ولا اختيار الالفاظ والتراكيب

التصور والخيال

نعم ان الحقائق لازمة للوصف ولكن هناك امرًا لا غنى عنهُ وهو التعبير عمَّا تولدهُ المناظر الطبيعية فينا من التأثير عند ما نشاهدها فان معظم الناس يسرحون النظر في المناظر الطبيعية الجميلة او المباني الفخيمة او الصور البديعة ويشعرون بتأثير عظيم ولكنهم يجدون صعوبة كلية في التعبير عما يشعرون بهِ بالكلام فهم يشعرون بذلك ولا يستطيعون ان يدركوا كيف نشأ فيهم ولماذا هم يشعرون بهِ هل سببهُ الجبال الشاهقة التي رأوها او البحيرات الساكنة الفضية الماء او الاشجار الباسقة على سفوح التلال المجاورة او الروج المخضراء اللابسة حللها السندسية فقد يكون السبب بعض هذه الاشياء او كلها جملة واحدة تمثلت امامهم منظرًا مختلف الالوان والاشكال كأنهُ نقوش كنقوش الفسيفساء اجتمعت كلها فاستقرت نظرهم واثرت فيهم فشعروا بجمال المشهد الطبيعي ولكنهم لم يدركوا مصدر شعورهم لانهم لم يستعملوا موهبة التصور والخيال التي طالما ساعدت الشعراء والكتاب على رسم صور واشكال في اقوالهم ليس لها وجود اصلاً وارشدت الموسيقي الى توليع الانغام والالحان المطربة وقادت يد النقاش والنحات فحولت قطعة القماش او الرخام الى صور تكاد تتحرك وتنطق . موهبة طالما نجَّت كثيرين ممن يقضون السنين الطوال في اعماق السجون من ضياع الرشد والاصابة بالجنون . فالواجب ان لا نهمل هذه الموهبة السامية بل نقويها ولشركها مع حاسة النظر فلا يقول من يجوب بلادًا من اقصائها الى اقصائها انهُ لم ارَ فيها شيئًا استلفت نظري

حدق بعينيك الى كل ما تراهُ وتصوَّر وتروَّ واجعل الخيال مقاربًا للحقائق . اشرف على منظر بديع فيهِ جبال وودية وانهار جارية وبحيرات ساكنة واشجار باسقة وقد فرشت ارضهُ بازهار الربيع وقارن بينهُ وبين منظر قاحل يناقضهُ وتوهم انك تحذف من المنظر الجميل الازهار او الانهار او غيرها وكلما حذفت شيئًا اسأل نفسك كيف يصير هذا المنظر اذا حرم من هذا وذاك فاذا ازلت منهُ الجبال فقد العظمة والجلال واذا جففنا البحيرات خسر الرقة والنعومة واذا خلعنا حلتهُ الزبرجدية فقد البهجة والرواء واذا نضبت انهارهُ وقلعت اشجارهُ استولت عليهِ الوحشة ولم نعد نسمع خرير الماء وتغريد الطير على الاغصان . بذلك يستطيع كل احد ان يدرك اسباب شعورهِ بتأثير المناظر الطبيعيَّة في النفس وان يربي فيهِ ملكة التصور والخيال فهذه موهبة تعين الكاتب على الوصف وترفع منزلتهُ بين الكتاب

فالذي يمرن هذه الموهبة بالاساليب التي ذكرناها ويجربها يستطيع وهو مغمض عينيهِ

ان يرى كما رأى ابو العلاء المعري في قصيدته المشهورة التي قالها عن لسان درج يخاطب سيفاً وهو كفيف البصر

سليم خوري
بقلم سكرتير مالي السودان

السياسة من لباب الآداب

ذكرنا في الجزء الاخير من العام الماضي انهُ وقعت لنا النسخة الاصلية من كتاب لباب الآداب الذي الفهُ اسامة ابن منقذ الكناني الملقب بمؤيد الدولة في اواخر القرن السادس للهجرة اي منذ نحو ٧٥٠ سنة ولم يكد المقتطف ينتشر حتى كتب الينا الاستاذ درنبرج المستشرق الشهير من باريس يقول ان الكلمة التي تعذرت علينا قراءتها في اول السطر الثاني من الصفحة الاخيرة هي كلمة "عالية" واسم الناسخ "غنايم" فنرفع الى حضرته واجب الشكر وما هي اول مرة اخذنا الفتنا عن العجمي. هذا وقد رأينا ان نستأنف النقل من باب السياسة الذي نقلنا بعضهُ في ذلك الجزء من المقتطف وجعلنا سطور الصفحتين التاليتين كما هي في الكتاب ورسمنا تينك الصفحتين بالفوتوغراف لكي تظهر اشكال الحروف وطريقة الخط

"قال الحكماء الحازم من لم يشغلهُ البطر بالنعمة عن العمل للعاقبة والمهمّ بالحادثة عن الحيلة لدفعها. وقالوا الحزم الحذر عند الامن والعاقل من حذر الليل والنهار فان فيهما مكمن الآفات. وقالوا اياك ان يطمعك الاغترار بالتهاون بالعدو الضعيف فان العدو الضعيف المحترس من العدو احرى بالظفر من العدو القوي المغترّ بالعدو الضعيف. وقالت الحكماء العجز عجزان عجز عن طلب الامر وقد امكن والجد في طلبهِ وقد فات

"وقالت الحكماء من كانت فيهِ ثلاث خلال لم يستقم لهُ امر التواني في العمل والتضييع للفرص والتصديق لكل مخبر. وقد قيل اربعة اشياء لا يُستقلّ قليلها المرض والنار والدَّين والعداوة. وقالوا ان العاقل وان كان واثقاً بقوتهِ وعقلهِ فليس ينبغي ان يحملهُ ذلك على ان يجني على نفسهِ العداوة والبغضاء اتكالاً على ما عندهُ من الرأي والقوة كما ان العاقل اذا كان عندهُ الترياق لا ينبغي لهُ ان يشرب السم اتكالاً على ما عندهُ. وقالوا احذر معاداة الذليل فربما شرق العزيز بالدناية

"وقالت الحكماء لا تنم عن عدوك فانهُ غير نائم عنك ولا تتغافل عنهُ فانهُ غير متغافل عن عثراتك وكيف لا يكون كذلك